حقيقة مقابل حقيقة

نظرة مختلفة تماما إلى النزاع
الإسرائيلي-الفلسطيني

- كان العرب يؤمنون بأن من زرع اليهود في البلاد هي الإمبريالية الغربية، كأداة لقمع العالم العربي.
وكان اليهود يؤمنون بأن مقاومة العرب للمشروع الصهيوني تنبع من الطبيعة الإجرامية للعرب.

- علينا الاعتراف بأن التمركز الصهيوني في البلاد، بكل ما فيه من أوجه مثيرة، كان مرفق بالتسبب بضرر بالغ للشعب الفلسطيني

- أهم وظائف معسكر السلام الإسرائيلي الجديد هي التحرر من الأساطير الكاذبة... يجب الاستماع إلى الشعب الآخر وفهم وجهة نظره حول النزاع التاريخي.

حقيقة مقابل حقيقة

١ إن المواجهة العنيفة التي نشبت في شهر تشرين الأول من عام ٢٠٠٠ والتي حازت على تسمية "انتفاضة الأقصى"، ما هي إلا مرحلة أخرى من مراحل النزاع التاريخي الذي بدأ عقب إقامة الحركة الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر.

٢ جيل خامس من الإسرائيليين والفلسطينيين ولدوا خلال هذا النزاع. وقد بلور النزاع العالم الروحاني والعملي لهذا الجيل، وهو يسيطر على كافة أشكال حياته.

٣ لقد تراكمت لدى الطرفين خلال هذا النزاع ترسبات هائلة من الأساطير والتحريفات التاريخية ووجهات النظر الدعائية والآراء المسبقة، وهي ثمار الكراهية والخوف التي ترافق أي حرب.

٤ لقد تبلور تصرف كل من الطرفين في النزاع بواسطة روايته التاريخية، وهو الشكل الذي يرى فيه أحداث النزاع خلال السنوات المائة والعشرين الأخيرة. الادعاء التاريخي الصهيوني والادعاء التاريخي الفلسطيني يتعارضان فيما بينهما تعارضا تاما، سواء كان ذلك بمجملهما، أو كان في كل تفصيل على حدة.

٥ منذ بدء النزاع وحتى يومنا هذا تصرفت القيادة الصهيونية/الإسرائيلية انطلاقا من التجاهل المطلق للرواية الوطنية الفلسطينية. حتى في الحالات التي كانت لديها الرغبة الصادقة في الوصول إلى حل، كان مصير جهودها الفشل بسبب عدم فهمها للتطلعات الوطنية والصدمات والمخاوف وآمال الشعب الفلسطيني. يحدث أمر مماثل لدى الطرف الآخر أيضا رغم عدم وجود تناسب بين الطرفين.

٦ يمكن حل أي نزاع تاريخي مديد مثل هذا النزاع فقط إذا استطاع كل طرف فهم العالم الروحاني-السياسي للطرف الآخر والاستعداد لمحاورته من منطلق التكافؤ، "بنفس المستوى". إن نظرة التحقير، التوجه العنيف، انعدام الحساسية، التكبر والجهل تمنع مسبقا التوصل إلى حل متفق عليه.

٧ الحكومات الإسرائيلية "اليسارية"، التي أيقظت في بعض الأحيان آمالا عديدة، عانت من هذه الميزات ليس بأقل من الحكومات "اليمينية"، ومن هنا تنبع الفجوة العميقة بين الوعود عند إقامتها والنتائج الوخيمة المنبثقة عن أعمالها. (على سبيل المثال: فترة تولي إيهود براك لرئاسة الحكومة).

٨ جزء كبير من معسكر السلام القديم (الذي يسمي نفسه أيضا "اليسار الصهيوني" أو "المعسكر العاقل")، مثل "السلام الآن"، يعاني هو أيضا من بعض هذه الميزات، مما أدى إلى انهياره مع حدوث أية أزمة.

٩ لهذا السبب تتجسد وظيفة معسكر السلام الإسرائيلي الجديد الأساسية في التخلص من الأساطير الكاذبة ومن النظرة أحادية الجانب إلى النزاع.

١٠ لا يعني هذا أنه يجب دحض الرواية الإسرائيلية بشكل أوتوماتيكي وقبول الرواية الفلسطينية دون اعتراض والعكس بالعكس. غير أنه من الواجب الإصغاء إلى الشعب الآخر بعقل منفتح وتفهّم نظرته إلى هذا النزاع التاريخي، بهدف بناء جسر بين الروايتين الوطنيتين وتوحيدهما في رواية مشتركة.

١١ إن سلوك أي طريق أخرى سيؤدي إلى مواصلة النزاع إلى ما لا نهاية، فيما ستتقطع فترات الهدوء السطحي والتقارب الوهمي مرارا وتكرارا بسبب نشوب الأعمال العدائية العنيفة بين الشعبين في البلاد وبين إسرائيل والعالم العربي. حيال ازدياد كمية سلاح الدمار الشامل في المنطقة، من الممكن أن تؤدي جولات قادمة من الحروب إلى هلاك كافة الأطراف.

مصدر النزاع

١٢ تخيّم الآن على لب هذا النزاع المواجهة بين القومية الإسرائيلية-اليهودية وبين القومية الفلسطينية-العربية. وهو في جوهره نزاع قومي، رغم وجود انعكاسات دينية، اجتماعية وغيرها عليه.

١٣ لقد جاء تأسيس الحركة الصهيونية كرد فعل يهودي على نشوء الحركات القومية الأوروبية، التي كانت جميعها تتسم بمعاداة السامية بقدر أو بآخر. بسبب نبذ اليهود من قبل الشعوب الأوروبية قرر البعض منهم تأسيس أنفسهم كشعب منفرد، حسب النمط الأوروبي الجديد، وإقامة دولة قومية خاصة بهم، يمكنهم فيها تقرير مصيرهم بأنفسهم.

١٤ انطلاقا من دوافع تراثية ودينية، توجهت الحركة الصهيونية إلى أرض إسرائيل (فلسطين) وقررت إقامة دولة اليهود فيها. وكان شعارها "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض". لم ينبع هذا الشعار من عدم الإدراك فقط، بل نبع أيضا من التعالي العام الذي ساد في تلك الفترة في أوروبا تجاه الشعوب غير الأوروبية.

١٥ فلسطين لم تكن خالية - لا في أواخر القرن التاسع عشر ولا في أي فترة أخرى. لقد كان يعيش فيها آنذاك حوالي نصف مليون ساكن حيث كان ٩٠٪ منهم من العرب. لقد كان بديهيا أن هؤلاء السكان سيعارضون تغلغل مستوطنين أجانب إلى بلادهم.

١٦ في نفس فترة نشوء الحركة الصهيونية تقريبا، نشأت أيضا الحركة الوطنية العربية التي قاتلت في البداية ضد الإمبراطورية العثمانية ومن ثم ضد الأنظمة الاستعمارية التي قامت بعد انهيار الدولة العثمانية عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى. بعد أن حولت بريطانيا "فلسطين" إلى دولة منفصلة، وخلال النضال ضد التغلغل الصهيوني، تبلورت في البلاد حركة وطنية عربية-فلسطينية منفردة.

١٧ منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى دار في البلاد صراع بين حركتين وطنيتين، وهما الصهيونية-اليهودية والعربية-الفلسطينية، إذ حاولتا تحقيق أهدافهما في نفس المنطقة الجغرافية - غير أن أهداف كل منهما أنكرت أهداف الطرف الآخر إنكارا تاما. لم يتغير هذا الوضع حتى اليوم.

١٨ بقدر ما ازدادت ملاحقة اليهود في أوروبا، وإغلاق أبواب دول العالم أمام اليهود الذين حاولوا الهرب من الجحيم، بقدر ما تعاظمت الحركة الصهيونية. لقد حولت اللاسامية النازية الحلم الصهيوني إلى مشروع معاصر، له احتمالاته في النجاح، وذلك عن طريق الهجرة الجماعية لطاقة عمالية ذات خبرة ومثقفين وتقنيات وأموال. لقد منحت الكارثة التي راح ضحيتها حوالي ستة ملايين يهودي، المطالبات الصهيونية قوة أخلاقية وسياسية أدت إلى إقامة دولة إسرائيل.

١٩ الشعب الفلسطيني، الذي شهد توسع الاستيطان اليهودي في البلاد، لم يفهم لماذا كان عليه هو بالذات دفع ثمن جرائم الأوروبيين التي ارتكبت بحق اليهود. لقد تصدى بقوة لاستمرار الهجرة اليهودية إلى البلاد وشراء اليهود للأراضي.

٢٠ لقد واكبت الأسباب العقلانية للنزاع بين الشعبين "حرب الصدمات". فقد حمل الشعب العبري/الإسرائيلي معه صدمة ملاحقة اليهود في أوروبا، الطرد الجماعي من بلدان كثيرة، الاستجوابات والمجازر والكارثة. لقد كان يعيش باعتقاد بأنه ضحية أبدية، ولم يعتبر صدامه الدامي مع الشعب

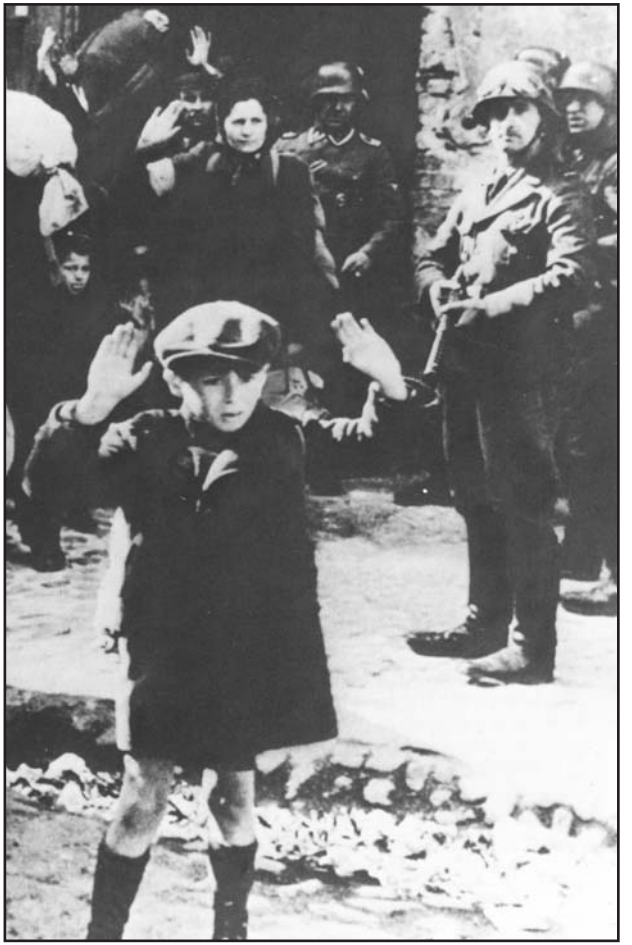

"حرب الصدمات"، ولد يهودي في الكارثة

شعب من المثقفين والتجار والسماسرة إلى شعب من العمال والمزارعين. بينما كان هذا المجهود يبدو في نظر العرب محاولة إجرامية ينفذها الصهاينة لانتزاع أراضي العرب، وطردهم من سوق العمل وإقامة اقتصاد يهودي مستقل على أراضيهم، بحيث لا يشاطره العرب.

٢٧ لقد تجسد اعتزاز الصهيونية في "إنقاذ الأرض". فقد تم شراء الأرض بالأموال التي جمعت من اليهود من مختلف أنحاء العالم. "القادمون"، الذين كان العديد منهم من المثقفين والتجار قبل ذلك، كسبوا رزقهم من الأرض بعمل شاق. تم كل ذلك، حسب رأيهم، بطرق سلمية دون انتزاع أرض عربي واحد. إلا أنه من وجهة نظر العرب، كانت هذه حكاية مرعبة من الانتزاع والطرد، لأن الصهاينة اشتروا الأراضي من الأثرياء العرب، الذين كانوا يسكنون في المدن الكبيرة في البلاد والخارج، وطردوا بالقوة الفلاحين الساكنين على هذه الأرض والذين كانوا يجنون قوتهم منها على مر أجيال طويلة. لتحقيق هذا الهدف استخدم الصهاينة الشرطة التركية، ثم البريطانية. لقد رأى العرب كيف تنتزع أراضيهم منهم نصب أعينهم.

٢٨ مقابل الادعاء الصهيوني حول "إحياء الصحراء" قدم العرب شهادات أدلى بها رحالة أوروبيون، في القرون الأخيرة، بأن فلسطين كانت بلادا مسكونة ومزدهرة نسبيا، ولم تكن بأقل من سائر البلدان في المنطقة.

الاستقلال والنكبة

٢٩ لقد وصل التضارب بين ادعاءات الشعبين إلى ذروته في حرب عام ١٩٤٨، التي يسمونها اليهود "حرب الاستقلال" أو حتى "حرب التحرير"، أما العرب فيسمونها "النكبة".

٣٠ مع اشتداد النزاع في البلاد، وبتأثير الكارثة، قررت الأمم المتحدة تقسيم البلاد بين "دولة يهودية" و"دولة عربية". وكان من المفروض أن تشكل القدس وما يحيط بها وحدة منفصلة تحت إدارة دولية. لقد مُنح اليهود حوالي ٥٥٪ من مساحة البلاد، وبما فيها النقب غير المأهول.

"تحرير" أو "نكبة"، لاجئون فلسطينيون في حرب ١٩٤٨.

حرب عام ١٩٤٨ كانت حربا "عرقية" - حرب يحاول فيها كل طرف احتلال أكبر مساحة ممكنة خالية من سكان الطرف الآخر

٣١ وافقت معظم الحركات الصهيونية على خطة التقسيم، انطلاقا من إيمانها بأن الأهم هو خلق قاعدة متينة لكيان يهودي يتمتع بالسيادة. لم يخفِ دافيد بن غوريون، في اجتماعات سرية، نيته في توسيع المناطق التي خصصت للدولة اليهودية في أقرب فرصة ممكنة. لهذا السبب لم تشتمل وثيقة الاستقلال لدولة إسرائيل على تعريف لحدودها، وبقيت الدولة دون حدود ثابتة حتى يومنا هذا.

٣٢ لم يوافق العالم العربي على خطة التقسيم التي اعتبرها محاولة حمقاء من الأمم المتحدة، التي كانت في ذلك الحين بالأساس منتدى للدول "البيضاء" الغربية والشيوعية، لتقسيم البلاد التي لم تكن تابعة لها. لقد زاد تسليم الجزء الأكبر من البلاد إلى الأقلية اليهودية، التي كانت في ذلك الحين ثلث عدد السكان فقط، مكروها على مكروه.

٣٣ كانت الحرب التي شنها العرب في أعقاب خطة التقسيم، حربا "عرقية" بطبيعتها - حرب يحاول فيها كل طرف احتلال أكبر مساحة ممكنة، خالية من سكان الطرف الآخر. مثل هذه الحرب (التي حظت فيما بعد بتسمية "التطهير العرقي") يتخللها دائما التهجير والأعمال البشعة.

٣٤ كانت حرب عام ١٩٤٨ استمرارا مباشرا للمواجهة الصهيونية-العربية، فقد حاول كل طرف تحقيق أهدافه من خلالها. لقد أراد اليهود إقامة دولة قومية متجانسة، كبيرة قدر الإمكان، أما الطرف العربي فقد أراد القضاء على الكيان اليهودي-الصهيوني الذي تم تأسيسه.

٣٥ لقد انتهج الطرفان التطهير العرقي، كأمر مفروغ منه في الحرب. لم يتبق عرب تقريبا في المناطق التي احتلها اليهود، ولم يتبق أي يهودي في المناطق التي احتلها العرب. إلا أنه بسبب احتلال اليهود لمساحات واسعة جدا، بينما نجح العرب باحتلال مساحات قليلة (غوش عتسيون والحي اليهودي في القدس)، كانت النتيجة أحادية الجانب. (منذ الثلاثينيات استعرضت المؤسسات الصهيونية أفكار "التبادل السكاني" و "الترانسفير"، التي تعني من الناحية العملية طرد السكان العرب من البلاد، بينما طالب العديد من العرب بعودة الصهاينة من حيث أتوا).

٣٦ لقد نشأت، لدى الطرف اليهودي، أسطورة "القليلين مقابل الكثيرين"، ذلك لأن الاستيطان اليهودي، الذي وصل تعداده السكاني إلى حوالي ٦٥٠ ألف نسمة فقط، كان يقف في وجه العالم العربي كله، الذي كان تعداده السكاني يصل إلى أكثر من مئة مليون. لقد فقد الكيان اليهودي في فلسطين نتيجة الحرب ١٪ من أبنائه، بينما تبدو لدى الطرف العربي صورة مختلفة تماما: أمام الاستيطان المنظم بشكل تام، والذي عرف كيف يستخدم أفضل الأسلحة المتطورة التي كانت بحوزته والتي تدفقت إليه من مختلف الدول في العالم (وخاصة من الكتلة السوفيتية)، وقف مجتمع فلسطيني متفكك، دون زعامة وطنية تذكر، ودون قيادة موحدة لقواته القليلة، وبحوزته أسلحة متدنية، قليلة وأغلبيتها قديمة. لقد خانت الدول العربية المجاورة الفلسطينيين، وعند دخول جيوش هذه الدول إلى البلاد، تنافست هذه الجيوش بالأساس فيما بينها وتصرفت دون تنسيق ودون وضع خطة. لقد فاقت قدرة الطرف الإسرائيلي القتالية، الاجتماعية والعسكرية، قدرة الدول العربية بكثير، التي تخلصت بصعوبة كبيرة من العهد الاستعماري.

٣٧ بموجب خطة الأمم المتحدة كان من شأن الدولة اليهودية أن تحصل على ٥٥٪ من مساحة البلاد وأن تضم أقلية عربية كانت تصل إلى حوالي نصف عدد السكان في هذه المناطق تقريبا في ذلك الوقت. لقد وسعت الدولة اليهودية خلال الحرب مساحتها، ومع انتهاء الحرب كانت تسيطر على حوالي ٧٨٪ من مساحة البلاد، التي ظلت خالية من العرب تقريبا. لقد بقي السكان في الناصرة وفي بعض القرى الجليلية داخل إسرائيل بالصدفة تقريبا، أما قرى المثلث فقد سلمها الملك عبدالله إلى إسرائيل كجزء من صفقة، ولذلك لم يكن بالإمكان إخلاؤها.

٣٨ خلال الحرب، تم تهجير ما مجموعه حوالي ٧٥٠،٠٠٠ فلسطيني. بعضهم هرب خوفا من المعارك، كما يحدث لأي مجتمع مدني في كل الحروب، والبعض أجبر على الهرب عن طريق الأعمال البشعة كما حدث في مذبحة دير ياسين، والبعض الآخر طرد خلال الحرب بشكل منهجي في إطار سياسة مدبرة من التطهير العرقي.

٣٩ حقيقة عدم السماح للاجئين بالعودة إلى بيوتهم بعد انتهاء المعارك يحدث بعد أي حرب عادية كما لا يقل أهمية عن الطرد ذاته بل على العكس، فقد رأت إسرائيل الناشئة بتهجير العرب فائدة كبيرة، وأسرعت في محو حوالي ٤٥٠ قرية عربية عن وجه الأرض، وأقامت على أنقاضها بلدات يهودية جديدة، مع "عبرنة" أسماءها السابقة. لقد تم إسكان "القادمين" الجدد في البيوت المهجورة في المدن. ويخلو المنهاج التعليمي الإسرائيلي من أي ذكر للسكان السابقين.

"دولة يهودية"

٤٠ لم تنه اتفاقيات وقف إطلاق النار مع انتهاء حرب عام ١٩٤٨- الصدام التاريخي، بل على العكس، فقد أدخلته في مرحلة أكثر تشددا.

٤١ لقد خصصت دولة إسرائيل الناشئة سنواتها الأولى لبلورة طبيعتها المتجانسة "كدولة يهودية". تمت مصادرة مساحات شاسعة من أراضي "الغائبين" و"الغائبين الحاضرين" وحتى من العرب الذين حصلوا على الجنسية الإسرائيلية، والذين فقدوا معظم أراضيهم المتواجدة في هذه المناطق. أقيمت على هذه الاراضي شبكة مكتظة من البلدات اليهودية. تمت دعوة الكثير من "القادمين" أو بالأحرى حثهم على القدوم إلى البلاد. زاد هذا المجهود الكبير قوة الدولة خلال سنوات قليلة بعدة أضعاف.

٤٢ في تلك الفترة انتهجت الدولة سياسة نشطة لمحو الكيان الفلسطيني ككيان وطني. فقد سيطر الملك عبدالله ملك الأردن، بمساعدة إسرائيل، على الضفة الغربية ومنذ ذلك الحين وحتى اليوم هناك ضمان عسكري إسرائيلي فعلي لبقاء المملكة الأردنية الهاشمية.

٤٣ كان الهدف الأساسي من العهد المبرم بين إسرائيل والمملكة الهاشمية، والمستمر للجيل الثالث على التوالي، هو منع إقامة دولة عربية فلسطينية مستقلة يضمن لها البقاء، رأت وما زالت ترى الزعامة الإسرائيلية فيها عائقا على طريق تحقيق الأهداف الصهيونية.

٤٤ في أواخر الخمسينيات حدث لدى الطرف الفلسطيني تحول تاريخي، عندما أسس ياسر عرفات وزملاؤه "حركة التحرير الفلسطينية" (فتح)، التي لم يكن الهدف منها مواجهة إسرائيل فحسب، بل كان أيضا تحرير القضية الفلسطينية من وصاية الحكومات العربية عليها. لم تكن إقامة هذه الحركة مجرد صدفة، بعد أن فشلت موجة الوحدة العربية الكبرى التي كان ممثلها الأبرز جمال عبد الناصر. كان الأمل يحذو الكثير من الفلسطينيين، حتى ذلك الحين، في الاندماج داخل أمة عربية موحدة. غير أنه مع تلاشي هذا الخيار، نشأت مجددا الهوية الوطنية الفلسطينية المستقلة.

٤٥ في بداية الستينيات أسس جمال عبد الناصر منظمة التحرير الفلسطينية (م. ت. ف.)، بهدف منع استقلالية العمل الفلسطيني، الذي كان من شأنه جره إلى حرب لم يرغب بها. كان الهدف من هذه المنظمة فرض المراقبة المصرية على الفلسطينيين. ولكن بعد الهزيمة العربية في حرب حزيران عام ١٩٦٧، سيطرت فتح، بزعامة ياسر عرفات، على منظمة التحرير الفلسطينية التي تعتبر منذ ذلك الحين ممثلة الشعب الفلسطيني.

"حـرب الأيـام الستـة"

٤٦ كأي حدث آخر حدث في المائة والعشرين سنة الأخيرة، كان هناك تصور مختلف للطرفين بالنسبة لحرب حزيران عام ١٩٦٧. فحسب الأسطورة الإسرائيلية كانت هذه الحرب حربا دفاعية من الدرجة الأولى، سقطت فيها مساحات كبيرة بين يدي إسرائيل بأعجوبة. أما حسب الأسطورة الفلسطينية، فقد جرت إسرائيل زعماء مصر وسوريا والأردن إلى حرب كانت معنية بنشوبها، وكانت تهدف بالأساس إلى إتاحة المجال أمام إسرائيل لاحتلال بقية الأراضي الفلسطينية.

Photo: David Rubinger

جنود الجيش الإسرائيلي بجانب حائط المبكى، حزيران ١٩٦٧، حرب دفاعية ضارية أم حلية إسرائيلية لاحتلال بقية فلسطين؟

٤٧ يعتقد إسرائيليون كثيرون بأن "حرب الأيام الستة" هي أم كل الخطايا، وأن إسرائيل قد تحولت منذ ذلك الحين، بعد أن كانت دولة متطورة ومحبة للسلام، إلى دولة محتلة ومستوطنة. يتيح هذا الأيمان لأصحابه تطهير الصهيونية والدولة من أي وصمة علقت بهما حتى ذلك الحين، مما يتيح الاستمرار في التشبث بالأساطير القديمة. هذه الرواية عارية عن الصحة.

٤٨ حرب عام ١٩٦٧ كانت مجرد مرحلة أخرى في النزاع القديم بين الحركتين الوطنيتين. فهي لم تغير الجوهر، بل غيرت الظروف فقط. التطلعات الجوهرية للحركة الصهيونية أي الدولة اليهودية والتوسع والاستيطان، قد تحققت. وأضيفت إليها مساحات أخرى. لم يكن بالإمكان، بسبب ظروف الحرب، تنفيذ تطهير عرقي على نطاق واسع، غير أنه في هذه المرة أيضا تم تهجير مئات الآلاف من الفلسطينيين.

٤٩ لقد منح قرار التقسيم من عام ١٩٤٧ إسرائيل حوالي ٥٥٪ من البلاد؛ في حرب عام ١٩٤٨ احتلت إسرائيل٢٣٪ أخرى وفي حرب عام ١٩٦٧ احتلت أيضا الـ٢٢٪ المتبقية، التي كانت عبر "الخط الأخضر". لقد وحدت هذه الحرب، رغما عن إرادة إسرائيل، كافة أجزاء الشعب الفلسطيني الذين بقوا في البلاد تحت سلطتها (بمن فيهم أيضا جزء من اللاجئين).

٥٠ فور انتهاء حرب عام ١٩٦٧ بدأت الحركة الاستيطانية في المناطق التي تم احتلالها. لقد شاركت فيها كافة التيارات السياسية في الدولة تقريبا - ابتداء من "غوش إيمونيم" وهي الحركة القومجية التي تؤمن بمجيء المسيح المنتظر وانتهاء بالكيبوتس الموحد "اليساري". لقد تمتع المستوطنون الأوائل بعد عام ١٩٦٧ برعاية أغلبية السياسيين من اليمين ومن اليسار، ابتداء بيغآل ألون (الخليل) وانتهاء بشمعون بيرس (كدوميم).

٥١ تشهد حقيقة كون كافة الحكومات الإسرائيلية قد طورت المستوطنات، بدرجات متفاوتة، على أن التطلع إلى الاستيطان لا يقتصر على معسكر أيديولوجي معين، وهو يشمل بداخله المعسكر الصهيوني كله. إن الاعتقاد وكأن قلة فقط دفعت بالمستوطنات قدما، ليس إلا وهما. المجهود المكثف الذي بذلته كافة أذرع السلطة، ومن ضمنها جميع الوزارات الحكومية منذ عام ١٩٦٧ وحتى اليوم، أتاح إنشاء الركيزة القانونية، التخطيطية والمالية المطلوبة لمثل هذا المجهود المتواصل وباهظ الثمن.

٥٢ تشتمل الركيزة القانونية على الادعاء الكاذب بأن سلطة الاحتلال هي مالك "لأراضي الدولة"، رغم أن هذه الأراضي هي احتياطي الأراضي المستقبلية الحيوية للسكان الفلسطينيين. من الواضح تماما أن الحركة الاستيطانية برمتها تتعارض والقوانين الدولية.

٥٣ الجدال بين مؤيدي "أرض إسرائيل الكبرى" ومؤيدي "التسوية الإقليمية" هو جدال حول أساليب تحقيق التطلعات الصهيونية الأساسية: دولة يهودية أحادية العرق على أكبر مساحة ممكنة، ولكن بدون "قنبلة ديموغرافية موقوتة". يشدد مؤيدو

"التسوية" على الناحية الديموغرافية ويريدون منع شمل السكان الفلسطينيين في الدولة، بينما يشدد مؤيدو "أرض إسرائيل الكبرى" على الناحية الجغرافية ويؤمنون (علانية أو خفية) بأن من الممكن طرد السكان غير اليهود من البلاد (الاسم المشفر: "ترانسفير").

٥٤ لقد لعبت قيادة أركان الجيش الإسرائيلي دورا مركزيا في التخطيط للمستوطنات وتنفيذه. هي التي وضعت خارطة المستوطنات (التي يتم نسبها إلى أريئيل شارون): تركيز المستوطنات والطرق الالتفافية على محور الطول ومحور العرض، بحيث يتم بتر الضفة الغربية إربا إربا، ويتم حبس الفلسطينيين في قطاعات معزولة، تحيط المستوطنات وجيش الاحتلال بكل منها.

٥٥ حاول الطرف الفلسطيني من جهته التصدي للاحتلال والمستوطنات بأساليب مختلفة، وبالأساس عن طريق التسلل عبر الحدود الأردنية واللبنانية، وإنجاز عمليات داخل إسرائيل وفي مختلف أنحاء العالم. يسمي الإسرائيليون هذه العمليات "إرهابا"، وأما الفلسطينيون فيرون فيها مقاومة شرعية لشعب احتلت أرضه. لقد تم الاعتراف تدريجيا بزعامة منظمة التحرير الفلسطينية، برئاسة ياسر عرفات، بعد أن كان الإسرائيليون يرون فيها قاعدة إرهاب، من قبل المجتمع الدولي على أنها "الممثل الشرعي والوحيد" للشعب الفلسطيني.

٥٦ عندما أدرك الفلسطينيون بأن مثل هذه العمليات لن تنجح في وقف موجة الاستيطان، التي تسحب الأرض من تحت أقدامهم تدريجيا، بدءوا في عام ١٩٨٧ بالانتفاضة - وهي ثورة شعبية تلقائية شاركت فيها كافة طبقات المجتمع.
لقد قتلت إسرائيل في هذه الانتفاضة حوالي ١٥٠٠ فلسطيني، ومن بينهم مئات الأطفال، وهو أضعاف الضحايا الإسرائيلية، غير أنها طرحت مجددا "القضية الفلسطينية" على جدول الأعمال الإسرائيلي والدولي.

مسيرة السلام

٥٧ غداة حرب أوكتوبر ١٩٧٣ ("حرب يوم الغفران" أو "حرب رمضان")، التي بدأت بنصر مفاجئ لجيوش مصر وسوريا وانتهت بهزيمتها، اقتنع ياسر عرفات والمقربون منه بأنه ما من خيار عسكري لتحقيق التطلعات الوطنية الفلسطينية.

إن التطلع إلى الاستيطان لا يقتصر على معسكر أيديولوجي معين، وهو يشمل بداخله المعسكر الصهيوني كله. هكذا تكون مجهود مكثف لكل أذرع السلطة.

فقرر انتهاج الخيار السياسي للوصول إلى تسوية مع إسرائيل، تتيح تحقيق التطلعات إلى دولة مستقلة، على جزء من البلاد على الأقل، عن طريق المفاوضات.

٥٨ تمهيدا لذلك بدأ عرفات لأول مرة بالاتصال بشخصيات إسرائيلية، لها قدرة التأثير على الرأي العام في إسرائيل وعلى سياسة الحكومة. التقى مبعوثوه (سعيد حمامي وعصام سرطاوي وغيرهما) بشخصيات إسرائيلية من طلائعيي السلام الذين أسسوا في أواخر عام ١٩٧٥ "المجلس الإسرائيلي لأجل سلام إسرائيلي- فلسطيني".

٥٩ لقد أدت هذه اللقاءات، التي توسعت شيئا فشيئا مع ازدياد الإرهاق في إسرائيل بسبب الانتفاضة الأولى (١٩٨٧ وما بعدها) وانفصال الأردن عن الضفة الغربية والظروف الدولية المتغيرة (انهيار الكتلة الشيوعية، حرب الخليج)، أدت إلى عقد مؤتمر مدريد، ثم إلى اتفاقية أوسلو.

اتفاقية أوسلو

٦٠ لاتفاقية أوسلو ميزات إيجابية وميزات سلبية.

٦١ من الناحية الإيجابية، أدت الاتفاقية إلى اعتراف رسمي للمرة الأولى من قبل دولة إسرائيل بوجود الشعب الفلسطيني وبزعامته الوطنية، وإلى اعتراف الحركة الوطنية الفلسطينية بوجود دولة إسرائيل. لقد كان لهذه الاتفاقية ولتبادل الرسائل الذي سبقها أهمية تاريخية من الدرجة الأولى.

٦٢ لقد منحت الاتفاقية، من الناحية العملية، الحركة الوطنية الفلسطينية قاعدة جغرافية على أرض فلسطينية، بنية "دولة في طريقها إلى الإقامة" وقوة مسلحة - وهي حقائق لعبت دورا هاما في استمرارية النضال الفلسطيني. ومن ناحية أخرى فتحت الاتفاقية أمام الطرف الإسرائيلي البوابات إلى العالم العربي ووقف العمليات الانتحارية، طالما تم تنفيذ الاتفاقية كما يجب.

Photo: Ya'akov Sa'ar, GPO

المصافحة التاريخية: اعتراف متبادل

٦٣ يكمن العيب الجوهري في اتفاقية أوسلو في حقيقة عدم تحديد الهدف النهائي منها، حيث حاول الطرفان التوصل عن طريقها إلى أهداف مختلفة تماما. الطرف الفلسطيني رأى في الاتفاقية المرحلية طريقا رئيسيا يقود لإنهاء الاحتلال وإقامة الدولة الفلسطينية على كافة المناطق التي احتلت عام ١٩٦٧ (والتي تشكل ٢٢٪ من الأراضي الواقعة بين البحر المتوسط ونهر الأردن)، أما الحكومات الإسرائيلية فقد كانت ترى فيها وسيلة لمواصلة احتلال أجزاء كبيرة من الضفة والقطاع، بينما يلعب الحكم الذاتي الفلسطيني دور العميل المساعد لضمان أمن إسرائيل والمستوطنات.

٦٤ بسبب عدم تحديد الهدف النهائي، لم تشكل اتفاقية أوسلو بداية لعملية إنهاء النزاع، بل شكلت مرحلة جديدة فقط من مراحل هذا النزاع.

٦٥ بسبب توقعات الطرفين المختلفة، حيث بقي كل منهما متشبثا "بروايته" الوطنية، تم تفسير كل بند من بنود الاتفاقيات تفسيرات مختلفة لدى الطرفين. في نهاية الأمر لم تنفذ أجزاء كثيرة من الاتفاقيات، وخاصة من قبل إسرائيل (ومن بين ذلك: لم يتم تنفيذ الانسحاب الثالث، ولم تقم المعابر الآمنة الأربعة بين الضفة والقطاع).

٦٦ استمرت إسرائيل خلال فترة "عملية أوسلو" كلها بتوسيع المستوطنات بشكل مكثف، وخاصة عن طريق إقامة مستوطنات جديدة بتمويهات مختلفة، توسيع المستوطنات القائمة، بناء شبكة هائلة من الطرق "الالتفافية"، مصادرة الأراضي، هدم البيوت، اقتلاع الأشجار وغيرها. الفلسطينيون من جهتهم استغلوا هذا الوقت لبناء قوتهم في إطار الاتفاقية وخارج إطارها. من الناحية العملية استمر النزاع بكل قوته خلف ستار المفاوضات و"عملية السلام"، التي تحولت إلى بديل عن السلام ذاته.

٦٧ إسحاق رابين، خلافا لصورته التي تعززت بعد اغتياله، استمر في إدارة النزاع في "المناطق" بكل قوته، في نفس الوقت التي أدار فيه العملية السياسية بهدف التوصل إلى السلام وفق القواعد الإسرائيلية. بصفته تلميذ "الرواية" الصهيونية، وشريك في أساطيرها، عانى من قصور فكري حين تعارض تطلعه الصادق إلى السلام مع مبادئه. فقد تجسد ذلك في قضية الاستيطان اليهودي في الخليل وقضية كدوميم. في أواخر حياته فقط بدأ رابين يستوعب أجزاء من الخطاب الفلسطيني.

٦٨ ٦٨ لقد كان وضع شمعون بيرس أكثر غرابة، فقد بنى لنفسه صورة دولية كرجل سلام ولاءم شعاراته لهذه الصورة ("الشرق الأوسط الجديد")، بينما ظل في جوهره صقراً صهيونياً تقليدياً. تجسد ذلك في الفترة القصيرة والدامية عند تقلده منصب رئيس الحكومة بعد اغتيال رابين، وبطبيعة الحال عند انضمامه لحكومة شارون في عام ٢٠٠١ وتقلده منصب الناطق بلسان شارون والمروج لصالحه.

٦٩ يتجسد المأزق الإسرائيلي، أكثر ما يتجسد، في إيهود باراك، الذي وصل إلى السلطة وهو على قناعة تامة بأن باستطاعته حسم النزاع التاريخي بومضة عين، وكأنه الإسكندر المقدوني. تعامل باراك مع الموضوع بجهل تام فيما يتعلق بالرواية الفلسطينية مستهترا بأهميتها في القضية. لقد صاغ اقتراحاته "السخية" متجاهلا الطرف الفلسطيني وعرضها كفرصة أخيرة. رفض الفلسطينيين لهذه الاقتراحات أثار لديه الاستغراب والغضب.

٧٠ يعتقد إيهود باراك ذاته والجمهور الإسرائيلي كله بأنه قد "قلب كل حجر" واقترح على الفلسطينيين "اقتراحات أكثر سخاء من أي رئيس حكومة سابق". وطالب مقابلها الفلسطينيين بالتوقيع على موافقة على "إنهاء النزاع". اعتبر الفلسطينيون هذا تبجحا سخيفا، لأن باراك طالبهم بالتخلي عن جوهر تطلعاتهم الوطنية، مثل حق العودة والسيادة على القدس الشرقية والمسجد الأقصى. كما أن ضم المناطق التي نظر إليها باراك كنسبة ضئيلة ("الكتل الاستيطانية")، وصل الضم فعلا، حسب الحساب الفلسطيني، إلى أكثر من ٢٠٪ من الضفة الغربية.

٧١ حسب الرواية الفلسطينية، فإنهم قد قدّموا أكبر تنازل ممكن بمجرد موافقتهم، في اتفاقية أوسلو، على إقامة دولتهم عبر الخط الأخضر، بما معناه إقامتها على ٢٢٪ فقط من وطنهم التاريخي. ولذلك كان بإمكانهم، حسب رأيهم، أن

Photo: Barak Ochayon, GPO

كامب ديفيد ٢٠٠٠: جهل واستهتار

يوافقوا على تغييرات طفيفة في الحدود فقط، في إطار تبادل الأراضي. أما الموقف الإسرائيلي فيفيد بأن الأراضي التي احتلت في حرب عام ١٩٤٨ هي حقيقة واقعة لا اعتراض عليها، ويجب المساومة حول الـ ٢٢٪ المتبقية.

٧٢ كما هي الحال في كافة المصطلحات والعبارات، فإن لكلمة "تنازلات" وقعا مختلفا تماما على آذان الطرفين. فحسب الموقف الفلسطيني، كانوا قد "تنازلوا" عن ٧٨٪ من أرضهم بمجرد موافقتهم على الاكتفاء بـ ٢٢٪ منها. أما الموقف الإسرائيلي فيفيد بأنهم "يتنازلون" بمجرد موافقتهم على "منح" الفلسطينيين أجزاء من نفس الـ ٢٢٪ (الضفة الغربية وقطاع غزة).

٧٣ لقد بلغت الأمور ذروتها في صيف عام ٢٠٠٠ في مؤتمر كامب داڤيد، الذي فرض على عرفات رغما عنه ورغم أن الظروف لم تكن مواتية. حسب مطالبات باراك، التي عرضها في المؤتمر وكأنها اقتراحات كلينتون، كان على الفلسطينيين أن يوافقوا على إنهاء النزاع متخلين عن مبدأ حق العودة، وعن أية عودة فعلية على حد سواء والموافقة على ترتيبات معقدة في القدس الشرقية والمسجد الأقصى إذ لم تمنحهم هذه الترتيبات سلطة على هذه الأماكن والموافقة على ضم الكتل الاستيطانية الكبيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة إلى إسرائيل وتواجد عسكري إسرائيلي في مناطق أخرى واسعة (مثل غور الأردن)، وفي المعابر الحدودية بين الدولة الفلسطينية والعالم. لم يكن أي زعيم فلسطيني ليوقع على مثل هذه الوثيقة، ولذلك انتهى المؤتمر دون إحراز تقدم، وانتهى معه المستقبل السياسي لكلينتون وباراك. بالمقابل استقبل الفلسطينيون عرفات كمنتصر، لأنه قاوم ضغوط كلينتون وباراك ولم يستسلم.

انتفاضة الأقصى

٧٤ فشل المؤتمر بدّد كل الآمال في التوصل إلى اتفاقية بين الطرفين وقد أدى الموقف الأمريكي المساند لإسرائيل تماما إلى جولة جديدة من النزاع العنيف، حيث حظي بتسمية "انتفاضة الأقصى". يرى الفلسطينيون فيه انتفاضة وطنية عادلة ضد الاحتلال المتواصل الذي لا تبدو نهايته للعيان، والذي يسحب أرضهم من تحت أرجلهم يوميا. ويرى الإسرائيليون فيها انطلاقة للإرهاب الفتاك. منفذو العمليات الانتحارية، الذين يرونهم الفلسطينيون أبطالا وطنيين، يرى فيهم الإسرائيليون مجرمين قساة يجب تصفيتهم.

٧٥ وسائل الإعلام الرسمية في إسرائيل قللت حديثها عن "المستوطنين" وأخذت تتحدث، بتوجيه من جهات عليا، عن "الساكنين"، ويعتبر أي هجوم عليهم قتلا للمواطنين. يرى الفلسطينيون في المستوطنين رأس حربة لعدو خطر، يحاول طردهم من أرضهم، وأن التصدي له أمر ضروري.

٧٦ لقد انهار جزء كبير من "معسكر السلام" الإسرائيلي خلال انتفاضة الأقصى واتضح بأن كل مواقفه كانت متضعضعة.

نتيجة لكامب ديفيد تلاشت كافة الفروق تقريبا بين "اليمين" و"اليسار". والجميع تبنى الشعار الكاذب القائل أن "لا شريك للسلام".

ولأنه لم يقم أبدا بإعادة النظر بشكل حقيقي في "الرواية" الصهيونية ولم يستوعب حقيقة وجود "رواية" فلسطينية أيضا، كان تصرف الفلسطينيين يبدو له غير مفهوم بتاتا، وخاصة بعد أن كان باراك قد "قلب كل حجر" و "اقترح اقتراحات أكثر سخاء من كل سابقيه". لم يبق لدى هذا المعسكر سوى تفسير واحد وهو أن الفلسطينيين قد خدعوا معسكر السلام الإسرائيلي، وأنهم لم ينووا في أية مرة من المرات إحلال السلام، وأن هدفهم الحقيقي هو القذف باليهود إلى البحر، كما كان يدّعي اليمين المتطرف منذ زمن بعيد. وكان الاستنتاج: "ليس لدينا شريك".

٧٧ نتيجة لذلك تلاشت كافة الفروق تقريبا بين "اليمين" و "اليسار". انضم زعماء حزب العمل إلى حكومة شارون وتحولوا إلى المروجين الأكثر نجاعة لنشاطها (مثل شمعون بيرس)، كما وانضمت المعارضة الرسمية اليسارية إلى هذا المهرجان. هذا يثبت مرة أخرى أن الرواية الصهيونية الأصلية هي العامل الفاصل الذي يوحد كافة أجزاء الحلبة السياسية في إسرائيل، وأن الفروق فيما بينها تفقد معانيها عند الاختبار.

٧٨ لقد دفعت الانتفاضة الثانية النزاع إلى ذروة جديدة. لقد قتل في السنوات الثلاث الأولى حوالي ٢٦٠٠ فلسطيني وحوالي ٨٠٠ إسرائيلي. الممارسات العسكرية الإسرائيلية حولت حياة الفلسطينيين إلى جحيم، فقد عزلت مدنهم وقراهم عن بعضها البعض، دمرت اقتصادهم وبيوتهم ودفعت العديد منهم إلى حافة الجوع. إن إعدام النشطاء الفلسطينيين ("التصفيات الموجهة") المرفقة بإصابة المواطنين المتواجدين في المكان، تحولت إلى ممارسات اعتيادية. اجتياح المدن والقرى الفلسطينية، بهدف قتل أو اعتقال المشبوهين تحول هو أيضا إلى نهج يومي. إن حبس ياسر عرفات، زعيم حرب التحرير الفلسطينية، في المبنى الذي يتواجد فيه في رام الله ("المقاطعة") المرفق بالتهديد العلني على حياته، تحول إلى أكثر الرموز تعبيرا عن الاحتلال.

٧٩ خلافا لتوقعات الزعامة العسكرية والسياسية في إسرائيل، لم يكسر الضغط العسكري والاقتصادي الجمهور الفلسطيني. فقد نجح هذا الجمهور، في أكثر الظروف قساوة، بانتهاج حياة اعتيادية قدر الإمكان. لقد طور الطرف الفلسطيني وسائل

مختلفة لرد الصاع صاعين. كان السلاح الأكثر نجاعة والأكثر فتكا هو العمليات الانتحارية، التي دفعت بالنزاع الدامي إلى مراكز المدن الإسرائيلية. لقد ألحقت الانتفاضة ضررا كبيرا بإسرائيل. شل السياحة ووقف الاستثمارات الأجنبية كان لهما أثر كبير في ازدياد حدة الركود الاقتصادي في إسرائيل وتدهور الاقتصاد الوطني وانهيار العديد من الخدمات الاجتماعية وتعميق الفجوات وزيادة حدة التوتر الاجتماعي.

٨٠ ردا على تهديدات العمليات، وخاصة العمليات الانتحارية التي أثرت جدا على معنويات الجمهور، طالب زعماء "اليسار الصهيوني" بإقامة حاجز جغرافي بين إسرائيل والمناطق الفلسطينية. عارض "اليمين الصهيوني" في بادئ الأمر "الجدار الفاصل"، خوفا من أنه سيحدد الحدود السياسية من الناحية العملية بمحاذاة الخط الأخضر، ولكنه فهم سريعا بأنه من الممكن استغلال فكرة الجدار لأهدافه. أسرع شارون في بناء الجدار بمسار يتلاءم مع أهدافه. يتوغل هذا المسار في عمق المناطق الفلسطينية ويضم المناطق الاستيطانية الكبيرة إلى إسرائيل ويدخل الفلسطينيين إلى قطاعات معزولة تسيطر عليها إسرائيل.

٨١ مع انتهاء السنة الثالثة من انتفاضة الأقصى، بدت لدى الجمهور الإسرائيلي مؤشرات كلل واضحة من الحرب، ومعارضة لبشاعة الاحتلال المتزايدة وبحث عن طرق لإحلال السلام. من بين هذه المؤشرات الكثيرة يمكننا أن نجد حركة رفض الخدمة بين أوساط الشبيبة الذين يدعون للتجنيد وتمرد ٢٧ طيارا من سلاح الجو وإعلان الرفض من قبل قدماء " الدوريات الخاصة في هيئة الأركان" والمقابلة المشتركة للرؤساء الأربعة الأسبقين لهيئة الاستخبارات العامة ضد استمرار الاحتلال وإعلان مبادئ السلام من قبل سري نسيبه وعامي أيالون ومبادرة جينيف التي بادر إليها يوسي بيلن وياسر عبد ربه وتغير موقف وأسلوب سياسيين ومحللين يدركون توجهات الجمهور، وغيرها وغيرها.

٨٢ في أعقاب الاجتياح الأمريكي للعراق في بداية عام ٢٠٠٣، أصبحت الولايات المتحدة أكثر حساسية للنتائج السلبية التي يتمخض عنها النزاع الإسرائيلي- الفلسطيني. بسبب الضغوط الداخلية في الولايات المتحدة من قبل اللوبي اليهودي صاحب مركز الضغط القوي والمجموعة المسيحية المتدينة المتطرفة صاحبة التأثير الكبير على البيت الأبيض وعلى جورج بوش الابن، أصبحت قدرة حكومة الولايات المتحدة مقيدة في العمل على حل النزاع. رغم ذلك نجح الرئيس بوش في بلورة "خارطة الطريق" التي شاركت فيها المجموعة الرباعية (الولايات المتحدة، أوروبا، روسيا والأمم المتحدة).

٨٣ تعاني "خارطة الطريق" لعام ٢٠٠٣ من نفس الفشل الذي عانى منه إعلان المبادئ في أوسلو عام ١٩٩٣. رغم أنها بعكس أوسلو، تحدد هدفا ("دولتان لشعبين") غير أنها لا تفصّل حدود الدولة الفلسطينية المتوقع إقامتها لتفرغ بذلك الإعلان من مضامينه.

كان من الممكن لشارون وزملائه أن يقبلوا بخارطة الطريق لأنهم كانوا مستعدين لمنح القطاعات الفلسطينية التي وافقوا على إقامتها، في ١٠٪ من البلاد، اسم "دولة فلسطينية". طبقا لذلك وافقت حكومة شارون شكلا على خارطة الطريق، غير أن هذه الموافقة مشروطة بـ ١٤ اعتراضا تفرغها من مضمونها.

٨٤ إن تجربة أوسلو، مثلها مثل تجربة "خارطة الطريق" الجديدة، تؤكدان بشكل قاطع الادعاء بعدم وجود قيمة لمستند يحدد مراحل انتقالية، إلا إذا كان هذا المستند يحدد مسبقا تفاصيل اتفاقية السلام النهائية. بانعدام مثل هذا التحديد، ليست هناك أية إمكانية لتنفيذ المراحل الانتقالية بالفعل. بينما يتطلع كل من الطرفين إلى هدف نهائي مختلف، يحتدم النقاش مجددا حول كل مرحلة من المراحل الانتقالية.

٨٥ من منطلق علمه بأن لا احتمال في تنفيذ خارطة الطريق من الناحية الفعلية، أعلن شارون في نهاية عام ٢٠٠٣ عن خطة "الخطوات أحادية الجانب". هذا هو الاسم المشفّر لخطة تهدف إلى ضم نصف الضفة الغربية تقريبا إلى إسرائيل وحبس الفلسطينيين في قطاعات معزولة تربطها طرق وأنفاق وجسور يمكن قطعها في أي وقت. تضمن بنية الخطة عدم إضافة سكان فلسطينيين إلى إسرائيل ولا تبقي أراض احتياطية للتجمعات الفلسطينية. هذه الخطة لا تلزم بإجراء محادثات مع الفلسطينيين، وفي نفس الوقت تدّعي بأنها ستمنح "السلام والأمن" لمواطني إسرائيل، فهي تهدف إلى استغلال تطلع الشعب الإسرائيلي المتزايد إلى حل النزاع لتحقيق أهدافها.

٨٦ لقد دفع الهجوم العام من قبل حكومة شارون وقيادة الجيش على سكان المناطق المحتلة من جهة (توسيع المستوطنات، إقامة مستوطنات جديدة تدعى "مواقع استيطانية"، بناء "الجدار الفاصل" و"الطرق الالتفافية"، الاجتياح العسكري للمدن الفلسطينية و"التصفيات الموجهة"، هدم البيوت واقتلاع الأشجار)، والعمليات الانتحارية الفتاكة التي تقوم بها المنظمات الفلسطينية داخل إسرائيل من جهة أخرى، دفع الفلسطينيين مواطني إسرائيل إلى وضع لا يحتمل.

٨٧ يتضارب ميل مواطني إسرائيل العرب إلى دعم أخوتهم عبر الخط الأخضر مع نيتهم في أن يقبلوا كمواطنين متساوي الحقوق في إسرائيل. في نفس الوقت، يتزايد لدى الجمهور اليهودي في إسرائيل مخزون الخوف والكراهية تجاه كل "العرب"، الذي يتعارض مع مبادئ الأساس المتعلقة بالمساواة وحقوق المواطن. لقد وصلت هذه التطورات إلى ذروتها في أحداث أكتوبر من عام ٢٠٠٠، فور نشوب انتفاضة الأقصى، عندما شرعت شرطة إسرائيل بإطلاق نار فتاكة على المواطنين العرب.

٨٨ هذه التطورات مقرونة بإعادة طرح "المشكلة الديمغرافية" على جدول الأعمال في إسرائيل أثارت الشكوك في نظرية "الدولة اليهودية الديمقراطية". إن التناقض الجوهري بين هاتين الميزتين، الذي لم يتم حله منذ إقامة الدولة، لا من الناحية النظرية ولا من الناحية العملية، يبرز أكثر من أي وقت مضى. لم يتم توضيح معنى مصطلح "الدولة اليهودية" في أي وقت من الأوقات، كما لم يتم توضيح مكانة الأقلية العربية

Photo: Eyal Ofer

"الجدار الفاصل": اليمين الصهيوني أدرك بسرعة بأنه من الممكن استغلال فكرة الجدار لتحقيق أهدافه لضم المناطق الاستيطانية الكبيرة

الفلسطينية الكبيرة في دولة تم تعريفها "دولة يهودية". بدأت تتزايد المطالبة بتحويل إسرائيل إلى "دولة كل مواطنيها" و/أو منح الأقلية العربية-الفلسطينية حقوقا وطنية محددة، وليس فقط بين أوساط المواطنين العرب.

٨٩ عقب كل هذه المجريات لم يَعد النزاع نزاعا إسرائيليا-فلسطينيا، وعاد تدريجيا ليكون نزاعا يهوديا-عربيا. إن وقفة أغلبية الشتات اليهودي إلى جانب إسرائيل، دون وجود علاقة بما تقوم به، وتأييد الجماهير العربية والإسلامية الجارف للقضية الفلسطينية، دون علاقة بموقف حكامها، عمقت هذه الظاهرة. أما اغتيال الشيخ أحمد ياسين في مارس ٢٠٠٤ فكان قد زاد الأمر حرجا.

معسكر سلام جديد

٩٠ يجب على حركة سلام جديدة أن تقوم على أساس الإدراك بأن النزاع هو مواجهة بين الحركتين الصهيونية-الإسرائيلية والتي تدفعها "شيفرتها الجينية" إلى السيطرة على كل البلاد وإبعاد السكان غير اليهود، وبين الحركة الوطنية الفلسطينية، التي تدفعها "شيفرتها الجينية" إلى رد التصدي لهذا التوجه وإقامة دولة فلسطينية. هذه مواجهة بين "قوة لا يمكن صدها" وبين "جسم لا يمكن إزاحته".

٩١ تكمن وظيفة حركة السلام الإسرائيلية في وقف هذه المواجهة التاريخية، والتغلب على "الشيفرا الجينية" الصهيونية/الإسرائيلية والتعاون مع القوى الفلسطينية بهدف التوصل إلى سلام يرتكز على تسوية تاريخية، تعقبها مصالحة بين الشعبين. أما قوى السلام الفلسطينية فلها وظيفة مشابهة.

٩٢ لتحقيق ذلك لن تكفي النصوص الدبلوماسية لاتفاقية سلام ممكنة، بل يجب نفخ روح جديدة في معسكر السلام، تشق طريقها إلى وجدان الشعب الآخر، تخلق إيمانا بإمكانية التوصل إلى السلام وتستحوذ على قلوب طبقات المجتمع الإسرائيلي القابعة بين الأساطير والآراء المسبقة القديمة. على معسكر السلام أن يتوجه إلى قلوب وعقول الجمهور الإسرائيلي برمته.

Photo: Rachel Avnery

مظاهرة إسرائيلية-فلسطينية: فهم نفسية الشعب الآخر

٩٣ لحركات السلام الصغيرة وظيفة حاسمة في هذه العملية، إذ أنها ثبتت وصمدت وواصلت نضالها في وقت انهار فيه معظم معسكر السلام في أعقاب فشل كامب دافيد ونشوب انتفاضة الأقصى.

٩٤ تشبه هذه الحركات عجلة مسننة صغيرة تتحرك ذاتيا وتدير عجلة أكبر، وهذه العجلة تدير بدورها عجلة أكبر وهكذا دواليك، إلى أن يعمل هذا الجهاز بأكمله. هكذا أحرزت قوى السلام في الماضي أكبر إنجازاتها، ومن بينها الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني والموافقة الجماهيرية الواسعة على إقامة دولة فلسطينية، والاستعداد للدخول في مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية، والموافقة على تسوية في القدس، وغيرها وغيرها.

٩٥ على معسكر السلام الجديد حث الرأي العام على إجراء إعادة نظر شجاعة في "الرواية" الوطنية وتحريره من الأساطير الكاذبة. عليه بذل مجهود صادق لتوحيد "روايتي" شعبي البلاد إلى "رواية" واحدة، خالية من الأكاذيب التاريخية، تكون مقبولة على كل من الطرفين.

٩٦ تزامنا مع ذلك، يجب حث الجمهور في إسرائيل على استيعاب حقيقة كون عملية تثبيت الصهيونية في البلاد، بكل نواحيه المثيرة والإيجابية، كان مقرونا بظلم لحق بالشعب الفلسطيني. هذا الجور، الذي وصل إلى ذروته في فترة النكبة، يلزم بالاعتراف بالمسؤولية وتصحيح ما قد تم تشويهه قدر الإمكان.

٩٧ لا قيمة لاتفاقية سلام إلا إذا كان بمقدور الطرفين الموافقة عليها من الناحية العملية، لكونها تفي بتطلعاتهما الوطنية الأساسية ولا تمس باعتزازهما الوطني.

٩٨ في الواقع السائد الآن، لا يوجد حل سوى ذلك الذي يرتكز على المبدأ "دولتان لشعبين"، والذي يعني التعايش بسلام بين الدولتين المستقلتين - إسرائيل وفلسطين.

٩٩ إن الفكرة التي يتم طرحها أحيانا والقائلة بأنه من الممكن ومن المفضل تبديل حل الدولتين بحل الدولة الواحدة، ثنائية القومية أو منزوعة القومية، من البحر وحتى النهر، هي فكرة غير واقعية لأن

حركات السلام الراديكالية تشبه عجلة مسننة صغيرة تتحرك ذاتيا وتدير عجلة أكبر، لتدير الأخيرة بدورها عجلة أكبر، وهكذا دواليك.

أغلبية الإسرائيليين الساحقة لن توافق على تفكيك دولة إسرائيل والأغلبية الساحقة لدى الفلسطينيين لن تتخلى عن إقامة دولة خاصة بها. هذه الفكرة هي وهم خطر لأنها تمس بالنضال لتحقيق حل الدولتين، القابل للتنفيذ في المستقبل القريب، لصالح فكرة لا يوجد أي احتمال لتحقيقها في عشرات السنوات المقبلة. هذا الوهم يمنح أيضا تبريرا لاستمرار وجود المستوطنات وتوسيعها. لو قامت دولة مشتركة، لكانت ستنشأ فيها مواجهة متواصلة لخلق أغلبية لدى أحد الطرفين وإبعاد الطرف الآخر خارجا.

١٠٠ على معسكر السلام الجديد وضع خطة سلام ترتكز على المبادئ التالية:

(أ) إنهاء الاحتلال. إقامة دولة فلسطينية مستقلة لها دوامها إلى جانب دولة إسرائيل.

(ب) الخط الأخضر سيكون خط الحدود بين دولة إسرائيل ودولة فلسطين. يمكن تبادل مساحات محدودة بموافقة الطرفين فقط، إثر مفاوضات حرة وعلى أساس ١:١.

(ج) يتم إخلاء كل المستوطنين الإسرائيليين من مناطق دولة فلسطين ومن الممكن تسليم المستوطنات التي يتم إخلاؤها إلى اللاجئين العائدين.

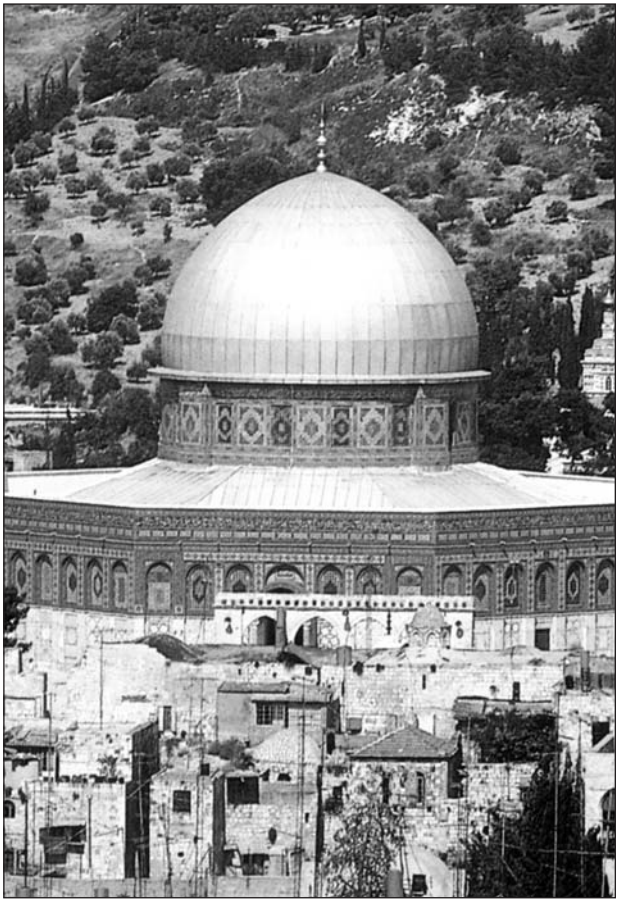

قبة الصخرة لفلسطين، حائط المبكى لإسرائيل

(د) ستكون الحدود بين الدولتين حدودا مفتوحة تتيح تنقل الناس والبضائع، وفقا لترتيبات يتم تحديدها بموافقة متبادلة.

(هـ) ستكون القدس عاصمة للدولتين. القدس الغربية ستكون عاصمة دولة إسرائيل والقدس الشرقية عاصمة فلسطين. ستتمتع دولة فلسطين بسيادة كاملة على القدس الشرقية بما فيها الحرم الشريف. ستتمتع دولة إسرائيل بسيادة كاملة على القدس الغربية بما في ذلك حائط المبكى والحي اليهودي. ستوافق الدولتان على وحدة المدينة على المستوى البلدي-الجغرافي.

(و) تعترف إسرائيل، من الناحية المبدئية بحق العودة للاجئين الفلسطينيين كحق إنساني لا اعتراض عليه، وتتحمل مسؤولية نصيبها في وقوع هذه المشكلة. تقوم لجنة الحقيقة والمصالحة بتحديد الحقائق التاريخية بشكل محايد. يأتي حل المشكلة من الناحية العملية في إطار اتفاقية بين الطرفين، على أساس عادل، مستقيم وعملي ويشمل العودة إلى مناطق دولة فلسطين، وعودة عدد محدود ومتفق عليه إلى مناطق دولة إسرائيل، والحصول على تعويضات والعيش في دول أخرى.

(ز) مصادر المياه تكون تحت سيطرة مشتركة ويتفق على تقسيمها على أساس متساو ومستقيم.

إنهاء الاحتلال ويكون الخط الأخضر هو الحدود بين إسرائيل وفلسطين. إخلاء المستوطنين. وتكون القدس عاصمة للدولتين. حل عادل ومتفق عليه لمشكلة اللاجئين.

(ح) اتفاقية أمنية بين الدولتين سوف تضمن أمن كلتيهما وتأخذ بالحسبان الاحتياجات الأمنية الخاصة لإسرائيل وفلسطين على حد سواء. تحصل هذه الاتفاقية على رعاية وضمانات دولية.

(ط) ستعمل إسرائيل وفلسطين معا، إلى جانب الدول الأخرى في المنطقة، على إنشاء مجموعة إقليمية على غرار الاتحاد الأوروبي.

(ي) سيتم نزع سلاح الدمار الشامل من المنطقة بأكملها.

١٠١ يؤدي التوقيع على اتفاقية السلام وتحقيقها العملي، بصدق وبروح إيجابية، إلى إنهاء النزاع التاريخي والمصالحة بين الشعبين ترتكز على المساواة، الاحترام المتبادل والعمل على خلق أكبر قدر ممكن من المشاركة.

يؤدي التوقيع على اتفاقية السلام وتحقيقها العملي، بصدق وبروح إيجابية، إلى إنهاء النزاع التاريخي ومصالحة بين الشعبين ترتكز على المساواة، الاحترام المتبادل والعمل على خلق أكبر قدر ممكن من المشاركة.

كتلة السلام هي نوات حركات السلام الإسرائيلية، وهي تتميز بعدم التخلي عن مبادئها حتى في أوقات الأزمات، مثل فترة انتفاضة الأقصى. تلعب كتلة السلام على مر السنوات دورا رئيسية في وضع جدول الأعمال السياسي والأخلاقي لحركة السلام الإسرائيلية.

تهدف **كتلة السلام** إلى خلق تحوّل جوهري في الرأي العام الإسرائيلي، لصالح سلام إسرائيلي–فلسطيني يرتكز على المبادئ التالية:

- إنهاء الاحتلال.
  قبول حق الشعب الفلسطيني الطبيعي في إقامة دولة مستقلة وذات سيادة إلى جانب دولة إسرائيل.
- تحديد الخط الأخضر كحدود السلام بين إسرائيل وفلسطين.
  القدس عاصمة للدولتين.
  القدس الشرقية عاصمة دولة فلسطين والقدس العربية
- عاصمة دولة إسرائيل. مدينة مفتوحة أمام كل زائريها، وغير مبتورة بالأسوار والحواجز.
- حل عادل ومتفق عليه لقضية اللاجئين، يشتمل على العودة إلى دولة فلسطين. عودة عدد متفق عليه إلى دولة إسرائيل.
- دفع تعويضات والبقاء في دول أخرى . إخلاء كل المستوطنات في المناطق التابعة لفلسطين.

كتلة السلام هي حركة لا برلمانية مستقلة

لكون كتلة السلام متحررة من القيود السياسية بجميع أشكالها، فإن بإمكانها دفع مبادئها قدما بشكل واضح، متكامل وحازم. في العديد من المواقف، تطرح الحركة أفكارا، قبل سنوات وفي بعض الأحيان قبل عقود من تحول هذه الأفكار إلى أفكار يتبناها الجميع. لا تشغل كتلة السلام مستخدمين أجيرين وكل نشطائها يعملون تطوعا. يتم تمويل كافة نشاطات الحركة من تبرعات تقدمها مجموعات سلام وأفراد من البلاد والخارج.

تنشط حركة كتلة السلام في تشكيلة واسعة من النشاطات- مثل نشاطات التوعية السياسية، العرائض الجماهيرية، المنشورات، المظاهرات والنشاطات المباشرة ميدانيا. من أبرز نشاطاتها: عريضة "القدس لنا" التي وقع عليها ٨٥٠ من المفكرين والفنانين، الحائزون على جائزة إسرائيل، نشطاء سلام إسرائيليين ووجهاء فلسطينيين (١٩٩٥)؛ مقاطعة منتجات المستوطنات (١٩٩٧)؛ الإشارة إلى الخط الأخضر على أرض الواقع (١٩٩٨)؛ نشر مسودة اتفاقية سلام إسرائيلية-فلسطينية (٢٠٠١)؛ الحملة ضد جرائم الحرب (٢٠٠٢)؛ خلق "حاجز بشري" حول ياسر عرفات لإفشال نية شارون قتله (٢٠٠٣)؛ الحملة ضد الجدار الفاصل (٢٠٠٣ وما بعدها).

تحذير

هذا مستند ثوري يزعزع المسلمات التي يرتكز عليها الإجماع الوطني.

تقضي هذه النشرة على الأساطير الكاذبة المتفق عليها وعلى الأكاذيب التاريخية التي ترتكز عليها أغلبية ادعاءات الدعاية الإسرائيلية والدعاية الفلسطينية. إنها تدمج بين حقائق الطرفين في إطار قصة تاريخية موحدة، تقيم العدل فيما بينهما. هذه هي ركيزة التفاهم الذي لا يمكن إحلال السلام بدونه.

بقلم أوري أفنيري

لمعلومات إضافية:

ص. ب. ٣٣٢٢ تل أبيب ٦١٠٣٣

٠٣-٥٢٢١٧٣٢

info@gush-shalom.org

www.gush-shalom.org

كتلة السلام

GUSH SHALOM

٥ ش.ج